

جماليات العجائبي في الرحلة الجزائرية المعاصرة. قراءة في رحلة إلى السنغال، مكاشفات وأسرار عن
الصوفية في السنغال. للكاتب: ياسين قلوش، أنموذجا

The Aesthetics of the wonderful in the contemporary Algerian Journey" by

Yassin Qaloush

ط. د عثمانى سليمان¹، أ. د بخيتي عيسى²

i.Dr othmani slimane¹, a.D bekhaiti aissa²

1 مخبر الخطاب التواصلية الجزائري، جامعة بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، الجزائر،

Slimane.othmani@univ-temouchent.edu.dz

2 مخبر الخطاب التواصلية الجزائري، جامعة بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، الجزائر،

aissa.bekhaiti@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ النشر: 2026/05/31

تاريخ القبول: 2026/02/14

تاريخ الاستلام: 2025/01/09

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مرتكز أساس مما تقوم عليه الرحلة في بناءها، والمتمثل في مستعمل العجيب والغريب، هذا المستعمل الذي يسعى إليه الرحالة في كتاباتهم، لإدراكهم لما لذلك التوظيف من أهمية على النص في إعطائه الذوق والجمال وحسن البيان، وهو سعي عمد إليه الكاتب، ليأتينا بنص رحلته إلى السنغال، وقد زج فيه من العجائبي ما اقتضاه السرد، لتكون لنا معه قراءة عنيت بتتبع آثار العجائبي فيه، وإبراز دوره كعنصر تحول فني وبياني داخل السرد.

كلمات مفتاحية: الرحلة، السرد، العجيب، الغريب، الجمالية.

Summary:

This study aims to shed light on a fundamental pillar upon which the travelogue's structure is built, namely, the wondrous and strange subject matter. This subject matter is sought after by travelers in their writings, as they realize the importance of its employment in giving the text flavor, beauty, and eloquence of expression. This is an endeavor that the author deliberately undertook in his travelogue to Senegal, where he incorporated the wondrous elements that the narrative required. This allowed us to conduct a reading concerned with tracing the effects of the wondrous within it, and highlighting its role as an element of artistic and rhetorical transformation within the narrative

Keywords: the journey, narrative, strange, wondrous, aesthetic.

المؤلف المرسل: ط. د عثمانى سليمان، الإيميل: otslimane78@gmail.com

1. مقدمة:

يعد استعمال العجيب والغريب في الرحلة ركنا أصيلا، فهو من اللبّات الأساسية المشكلة لبناء النص، والمجسدة لموضوعه، وهو من هذا المنظور النقدي، فن وإبداع سردي، يجنح إليه كتاب الرحلة بغية إعطاء الحسن والجمال في المكتوب، ليكون رسم كتابي جميل، يضيف على النص الإثارة والتشويق، وهي ميزة فنية، يتوق لها القراء والمتلقون وقت القراءة أو الاستماع تلذذا واستمتعا بما في النص من أساليب العجيب والغريب، ومن هذه المنطلق تجد الرحالة وقت أسفاره، مرتبط ومتعلق بمتبع ورصد آثار كل مخالف له مع الآخر، لإبراز تلك الفوارق الحاصلة بين الشعوب والمجتمعات، ويحرصون على استجلابه واستحضاره داخل نصوصهم لبناء عمارة الرحلة، وتجميل شكلها، وتحسين مظهرها، لإخراجها في حلة أنيقة الشكل، نافعة الضمن، يتلقفها العاشقون لهذا الفن قراءة، ودراسة، ونقدا .

ولهذه الخطوة السامقة التي يتبوّؤها استعمال العجيب والغريب داخل الرحلة - كما سبق ذكره سابقا -، فإن الكتاب أولوا الأهمية البالغة، باستخدامه ضمن محكي أسفارهم، بل وأكثر؛ فقد حرصوا في ذلك الاستحضار والاستجلاب على وضع كل ما من شأنه أن يدعو للإثارة والتشويق، ويخلق الدهشة والإعجاب في نفوس المتلقين.

وابتغاء للدراسة المرجوة من عنونة المقال، نضع بين أيدينا نصا سرديا، لرحلة جزائرية معاصرة، قادت كاتبها نحو بلاد السنغال، انطلاقا من بولندا، مروراً بأنقرة التركية، ثم الجزائر العاصمة، وانتهاء بدكار السنغالية في محكي سفري، كان للكاتب فيه الكثير من المشاهد والمواقف التي عجب لأمرها، واندش لحالها، والتي أوسمها بعنوان رأينا عنوانا جذابا ومثيرا للدراسة، ألا وهو؛ "رحلة إلى السنغال: مكاشفات وأسرار عن الصوفية في السنغال، لنتتبع فيه تجليات ميثوث العجيب والغريب في هذا النص، وآثار ذلك على جماليات الأسلوب، وإيضاح الصور، وإبراز المعاني.

وعليه؛ ومن خلال هذه القراءة النقدية التي جمعتنا بمعية هذا النص، قصد الوقوف على مستخدم العجيب والغريب فيه، مبتغين من وراء ذلك الوصول إلى جمالياته في النص، فإن الإشكالية التي تسحبنا نحوها، وإثراء الدراسة حولها هي :

فيم تتجلى صور العجيب والغريب داخل هذا النص؟ وما دورها الفني وآثارها الجمالي في تنكيه نسج النص، وإضفاء المرونة والسلاسة في تحريك أفعاله وسير أحداثه؟ وما آثار ذلك في تحسين صورة المشاهد وتوضيح معانيها؟

وقبل اللوج في صلب الموضوع، والإجابة عن المستفهم المطلوب، ورؤية منا لاستقام حال المقال، كان علينا سياق معارف مهمة، لإرساء دعائم المقال في إطاره المعرفي العام، بتتابعها كمفاهيم ومبادئ مهيأة للدراسة.

2. مفاهيم ومبادئ أساسية:

افتراضا للدراسة، وللولوج في عمق الموضوع، نستهل مقالنا هذا بالوقوف على إبراز معاني بعض العناصر وشرحها، كونها جزء من البناء لمجسم المقال، لنأتي بدأ على العنوان كونه عتبة هامة، بتفكيكه إلى عناصر، مع

الشرح والتوضيح، لنعرج بعدها إلى الوقوف على معاني ودلالات العجيب والغريب من خلال بعض معاجم وقواميس العربية.

2. 1. مفاهيم حول الدراسة :

إن المتمعن في رسم العنوان وتشكله، يمكنه الوقوف على عناصر تركيبية، تصنع عنونته، وتحدد سياقاته وتبرز أهدافه هي:

2. 1. 1. جماليات الغريب والعجيب :

ونعني بذلك نتبع وتلمس آثار العجيب والغريب الموجودة في النص، ثم استخراجها كعناصر سردية تحمل معنى العجيب والغريب والمخالف، ثم من بعد ذلك إبراز آثارها الفنية ومسحتها الجمالية التي ألفت بظلالها على سرد النص شكلا ومضمونا .

2. 1. 2. العجيب والغريب :

ونقصد بهذا العنصر، تلك المشاهد، والوقائع، والأحداث، التي تشد إليها الكاتب، وتجذبه نحوها وقت سفره، إعجابا واستغرابا، مما لم يراه، أو يألفه من قبل، فيكتب عنها داخل رحلته.

2. 1. 3. الرحلة الجزائرية المعاصرة :

وهو حقل الدراسة، ومجال الاشتغال الذي استقي منه النص، وارتكز العمل فيه ، للوصول إلى المبتغى، بتجلي العجيب والغريب، وإظهار آثاره وإبراز جمالياته في نص الرحلة المعقود الدراسة عليه .

2. 1. 4. مفهوم العجيب :

شكّل على الدارسين والنقاد إيجاد تعريف عام وشامل، يحدد ويضبط مفهوم العجيب في الرحلة، وذلك نظرا لتعدد المفردات التي تتشارك في معنى هذا المصطلح الدال عن كل شيء لم يألفه المشاهد، أو لم يعتد على رؤيته، كالعجيب، والغريب، والخرافة، والأسطورة، وغيرها من العناصر الأخرى، فالعجيب في الشيء والتعجب منه أمر واسع، يشمل حيزا كبيرا مما يحمله الكون من أشياء لم يألفها الإنسان في واقعه، ولم يعتد على رؤيتها بين مجوداته، ليعبر عنها وفق وقعها على نفسه، وأثرها على عقله، "كما أن العجب والعجيب، يمتدان إلى مساحات غائرة في عوالم النفس الخفية المولعة بكل جديد غير معتاد، وهو ما يوسع مساحة العجيب، ليشمل كل الأشياء الموجودة في العالم، فلو لم يعتد الإنسان على رؤيتها، لبدت له عجيبة وخارقة ومحيرة"(تنفو، 2010، صفحة 16)

يتأسس مفهوم العجيب، حسب لسان العرب " لابن منظور "على مبدئين اثنين؛ مبدأ الإنكار في قوله: العجب (بضم العين)، والعجب (بفتح العين)، إنكار ما يراد عليك لقلة اعتياده. (ابن منظور، 1981، صفحة 2811) ومبدأ الاستحسان في قوله: وشيء معجب (بضم الميم)، إذا كان حسنا جدا، والتعجب، أن ترى الشيء يعجبك، تظن أنك لم تر مثله (ابن منظور، 1981، صفحة 2811).

أما باقي المعاجم العربية الأخرى، فلم تختلف كثيرا عما أورده "ابن منظور" داخل معجمه في تحديد معنى العجيب. ففي معجم "المحكم والمحيط الأعظم في اللغة"، نجد العجب (بضم العين أو بفتحها)، إنكار ما يرد لقلّة اعتياده.(مجمع اللغة العربية، صفحة 854)، ونجد معناه في معجم الوسيط: العجب روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء، يقال: هذا أمر عجب، وقصة عجب، وعجب عجاب؛ شديد (المبالغة). (صبحي حموي، صفحة 750)، ونلفي أيضا في "المنجد الوسيط في العربية المعاصرة"؛ مادة (عجب)، عجب من عجا، أنكر شيئا لقلّة اعتياده (الاندلسي و بن اسماعيل، 1985) إياه، وجده غريبا غير مألوف: عجب مما روي له ...، تعجب العين من حسن بياض الثلج. عجائبي: معجز، خارق: شيء عجائبي الذي له صفات العجيبة، دواء عجائبي. أعجوبة (ج) أعاجيب: معجزة، شيء، أو حادث غير اعتيادي، يرون فيه تدخلا إلهيا عوطفا (...)، أعجب إذا كان فيه ما يجذب، ما يحمل على الاستحسان والارتياح (...)، إعجاب: حالة الناظر إلى ما يثير الاستحسان والدهشة، شعور بانسراح ودهشة أمام ما يعتبر فائق الجمال والعظمة: مشهد يثير الإعجاب. (لوكزف، 2002، صفحة 58)

ومن هنا؛ بتأمل في دلالات "العجيب" في معاجم اللغة العربية، وتتبع صيغه ومشتقاته واستعمالاته، يلحظ "وجود غزارة كبيرة للدلالة على العجيب، تدل دلالة واضحة على حضور ثقيل، لكل ما هو عجيب في أذهان المتكلمين. (الزكري، 1994، صفحة 230)

ومن صيغ العجيب نجد: "عاجب"، تدل على ثبوت حال العجب ودوامه من خلال تأكيده، كما تدل على الحدوث حسب ما أكده الزمخشري حين قال: "صيغة فاعل"، "عاجب"، ترد للدلالة على الحدوث، كأن يقال: هو حاسن الآن أو غدا، وكارم(الزمخشري و عمر، 1323هـ، صفحة 230). ومنه قوله تعالى: (وضائق به صدرك) (سورة هود الآية 12) كما نجد: عجاب (بضم الفاء، وفتح العين مرة، وتشديدها مرة أخرى)؛ هو الذي جاوز حد العجب(الفراهيدي، 1988، صفحة 235). قال تعالى: (إن لشيء عجاب)، (سورة ص الآية 05) فالعجائبي لغويا؛ هو الإنكار والتعجب والخروج عن المألوف كما ورد في معظم المعاجم اللغوية. ويعرفه "تودوروف"، بقوله: "التردد الذي يحسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعية، فيما يواجه حدثا فوق طبيعي حسب الظاهر". (تودوروف، 1993).

2. 1. 5. مفهوم الغريب :

يعرف الغريب في معجم المعاني الجامع: الغريب: (مصطلحات)، بفتح الغين جمع غرباء، البعيد عن وطنه. (فقهية)، غريب: فاعل من غرب، وغريب (اسم)، الجمع: أغرب وغرباء، المؤنث: غريبة، والجمع للمؤنث: غريبات وغرائب، فالغريب: غير المعروف أو المألوف، الغريب: الرجل ليس من القوم ولا من البلد، والجمع غرباء (...)، يقال: يأتيك بكل عجيب غريب، أي بكل مدهش لا يصدق. (<https://www.almaany.com>).

جاء في المنجد الكبير في اللغة ؛ الغريب (ج) غرباء: البعيد عن وطنه، رجل غريب: ليس من القوم . الغريب (ج) غرباء: العجيب غير المألوف (حرفوش و شكور).

وفي المنجد في اللغة العربية المعاصرة؛ غرابية: اسم لما هو غريب، طرافة: "غرابية موقف"، "غرابية فكرة"، "غرابية مزاج"، ما يجعل الشيء غريبا مختلفا عن غيره وخارجا عن المألوف. (صبحي حمودي، د.س، صفحة 1047)

أتى في معجم الوسيط؛ أغرب: أتى الغرب، صار غريبا، وارتحل، جاء بالشيء الغريب في كلامه. (إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، د.س، صفحة 695)

وخلاصة هذا أن العجيب والغريب كلمتان مترادفتان إلى حد ما، ولكن يمكن استخدام كل منهما في سياقات وبمعان مختلفة، فالغريب يشير إلى ما هو غير مألوف، في حين أن العجيب يستخدم لوصف شيء فريد غير متوقع، يثير الإعجاب أو الدهشة في نفس المشاهد.

2.2. مرتكزات عن نص الدراسة:

2.2.1. نوع الرحلة:

جاءت الرحلة علمية استكشافية، لغرضها العلمي، والذي أرسل لأجله الكاتب لبلاد السنغال للبحث في الطرق الصوفية هناك. (إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، د.س، صفحة 04)

2.2.2. مسار الرحلة :

كانت عبر مسار جوي غير مباشر، انطلق فيه الكاتب في رحلة أولى من بولندا، نحو أنقرة التركية، ليستقل طائرة أخرى في رحلة ثانية من تركيا، ناحية الجزائر، ثم الثالثة من العاصمة الجزائرية، تجاه دكار السنغالية.

2.2.3. بواعث الرحلة :

قصد الكاتب وجهة السنغال أواخر عام 2019 م، في إطار بحث علمي، من حيث مقر إقامته للدراسة بوارسو العاصمة البولندية، وإلى دكار العاصمة السنغالية، يقول عنها: " في هذا الكتيب أسرد تفاصيل رحلتي إلى السنغال في أواخر عام 2019، من أجل بحث متعلق بالطرق الصوفية في هذا البلد، وهو جزء من رسالة الدكتوراه التي أحضرها بقسم الدراسات الشرقية بجامعة وارسو ببولندا."

2.2.4. مضمون الرحلة :

سافر بنا الكاتب داخل هذا النص في رحلات جوية بين محطات ثلاث، حيث وجد الكاتب من خلالها أن هناك الكثير من المفارقات والتباينات الجلية بينه وبين الآخر، سفر بقدر ما كان لصاحبه فيه من التعب والإرهاق، بقدر ما كان له فيه من التشويق والإثارة، جاءت الرحلة كتابا سرديا، يحكي ويصف لنا محطات هامة عايشها الكاتب في سفره، بدءا من لحظة الاستعداد للسفر، ووقت السفر، وإلى حين الوصول إلى السنغال، ثم السفر إلى غامبيا من دون سبق إعداد وتحضير، وما بين هذه المحطات من وقائع وأحداث، كان له فيها من العجيب والغريب أحوال. (إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار، د.س)

فالرحلة أتت في مستهلها، تسرد دوافع الرحلة والتحضير لها، لتحكي جزء مهما من حياة الكاتب مع طريق السفر، لتواصل محكيها لحظة وصوله للسنغال، ومن ثمة أيام إقامته فيها، معرفة بدولة السنغال بسرد محكي، يصف جمالها الساحر، وطبيعتها الفاتنة، وما يميز أهلها من طيب الطباع، ودمائة الأخلاق، وكذا ما أورده لنا من أخبار عن الصوفية و التصوف في هذا البلد، مرتكزا في سياق حديثه في ذلك على طريقتين ذاع صيتهما، هما: "الطريقة المريدية" و"الطريقة اللائية، أو اللاهية"، وما أورده عنهما من أخبار عن العقيدة والمعتقد في الإسلام، مشيرا في ومضة سريعة إلى الحديث عن بلاد "غامبيا"، وكيف نزل فيها ضيفا غير شرعي، واصفا بعض قراها ومدنها من حيث طبيعتها وجمالها، وميزة سكنها وسكانها، مخبرا بعد عودته للجزائر عن الصوفية والتصوف في بلاده الجزائر في مختصر من زيارته لزواوية "الهدى والضياء"، بمدينة غرداية، لشيخها وزعيم طريقتها، الشيخ "بابا الحسن"، مضمنا سرد حكيه عن يوميات المريدين لها، والمتعلمين بها، مؤكدا رحلته العلمية بصور فوتوغرافية، تسجل بعضا من تحركاته وتقلاته المختلفة أيام سفره عبر محطاتها المختلفة.

3. تجليات وجماليات العجيب والغريب في الرحلة:

الرحلة فن من الفنون الأدبية الواقعية، والتي تتمركز في نقل وقائعها وأحداثها بتسجيل ما وقعت عليه عين الكاتب في سفره، كونه يعكس واقعا حقيقيا عاشه الرحالة أيام سفره وتقلاته، غير أن الرحلة في عديد مناحي بناءها ومراحل تشكيلها، انزاحت عن الشكل التقريرى المؤلف الذي كان يطبعها، وانتقلت إلى الجانب السردى القصصى الحافل بالعجيب والغريب، إذ استعمل بذلك كتاب الرحلة داخل محكي أسفارهم عديدا من أصناف السرد الممزوج بين الحقيقي والخيالي، واستجلبوا من الأدب عديد العناصر التي صيرت الرحلة شكلا فنيا ثخين بعديد العناصر الأدبية وغير الأدبية، التي تشكل بنیان الرحلة، ومن هذا المنطلق والأساس، "يمكن اعتبار العجائبي جزءا من المظهر التركيبى للحكاية؛ أي أنه يمكن أن يدخل في بنية أي حكاية أو رواية أو قصة، بتوظيفه كعنصر جمالي تماما، كما توظف الصور لبلاغية النصوص عامة." (حسين علام، 2010، صفحة 36).

فعجيب السرد المحكى، ظل منذ بداية التأليف فيه عنصرا بارزا يبتغيه الرحالة داخل كتاباتهم، لما له من أهمية ودور في تصوير المشهد السردى للرحلة، وإضفاء الجمالية عليه، بحسن اللفظ وجميل المعنى، ليجعل فيه انسيابية وحركية مرنة في سير أحداثه، ومنه نلج الدراسة المرجوة باستخراج عجيب النص، والوقوف على جماليته في السرد، لكن قبل إبراز تجليات العجيب وجمالياته في هذا النص، لزم الإشارة إلى مهم في صناعة هذه الرحلة، والمتمثلة في نباهة الكاتب وذكائه في صناعة نصه، إذ استطاع بناءه بمستهل فريد، بأسلوب سلس جذاب، جعل منه منطلق رحلته، يقول في مستهلها: "حكايتي مع السفر إلى السنغال، تبدأ أياما قبل السفر." (ياسين قلو، د.س، صفحة 09)؛ إنها براعة الصناعة وجودت المنطلق، يذهب بعقل القارئ وفكره نحو الغوص في عوالمه، بمصيدة بارعة، وفخ محكمة، تفتح أمامه أفق التوقع والانتظار، لتجعله أسير النص، بإثارتة وتشويقه، مما يتولد لديه من فضول وتساؤل حول معرفة خبايا هذه الرحلة وتطوراتها، ليجد نفسه أمام وقائع وأحداث، منها ما يتعجب منه القارئ والمتلقي، وهو يسلك درب سردها، بدأ من حال الكاتب وهو يستعد للسفر بتحضير تأشيرة الدخول لبلاد السنغال،

وما وقع فيها من غريب التصرفات ومضحكات الأفعال، باستحضاره لأسلوب فني إغرائي بارع، وظفه بغية تنبيه القارئ، وإثارة التشويق فيه لما هو قادم من وقائع وأحداث، لاسيما ما ارتبط بالعجيب والغريب، ولما له من أثر في تتابع القراءة، بتتبع الأحداث والوقائع من لدن القارئ والمتلقي، لتسحبهما نحو نصها سحباً بشوق وتلذذ كبيرين. جاءت الرحلة التي بين أيدينا بالعديد من الصور المبرزة للعجيب والغريب، تلك الصور التي عاشها الكاتب، أو صادفها قبل السفر، وأثناء السفر وبعده.

ومما توصلت إليه قراءتنا من هذه الصور، بتتبع ظلالها، واقتفاء آثارها داخل هذا النص، يمكن تقسيمها من وجهتنا نظراً إلى قسمين أساسيين هما:

3. 1. العجيب والغريب قبل الوصول إلى السنغال :

3. 1. 1. 3. وضعية وهيئة غريبة لسفارة السنغال ببولندا :

من صور العجيب والغريب التي ضمنها الكاتب في رحلته، وصفه لحال سفارة السنغال وبعض سلوكيات ممثليها إدارياً بدولة بولندا، صور عكست ما تعارف عليه العامة من الناس، من أن السفارات والقنصليات ممثلات للدول وواجهاتها، كونها مؤسسات عمومية، يؤدي الموظفون فيها عمل تسيير و تيسير شؤون الأشخاص المنتمون إليها خارج البلاد، أو ممن قدموا إليها من بلدانهم الأصلية، أو ممن تربطهم علاقة عمل معهم، وذلك وفق قوانين تنظم عملها، وعادات وأعراف تحكم سيرها، عاكسة بذلك صورة البلد الممثل خارجاً من خلالها، وهو ما توصل إليه الكاتب نتيجة ما شاهده عن السفارة السنغالية، وما وقع له مع إدارتها وقت إعداده التأشيرة، أمر حيره واستغرب منه، فأخذ بذلك صورة عرفته عن بعض من السنغال قبل السفر لها، "ذهبت إلى سفارة السنغال في وارسو من أجل الحصول على التأشيرة ...، وسفارة أي بلد هي مرآته وصورته في الخارج، فهي تعطيك لمحة أولية عن البلد." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 09).

ففي هذا التقديم إثارة فضول للقارئ وجلبه نحو السير معها، فيه حس دغدغة العواطف وإثارة الأحاسيس، ليعقبها بتقديم للمشار إليه، ومن ذلك صورة أعجب أشد الإعجاب لحالها، واستغرب أكثر الاستغراب لأمرها، وهو ما لحظ عليه حال السفارة أول أمره، "وجدت باب السفارة مفتوحاً، فلم أضطر لرن أو قرع الباب، ودخلت الردهة، ولم أجد أحد لاستقبالي ... " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 09)، إنه لأمر يعظم الإعجاب منه ...، سفارة حالها عجيب وأمرها غريب، مستهل مشوق ومثير لما هو قادم ...، إنها البارعة في الاستهلال!!

3. 1. 2. إطار بسفارة السنغال يجهل كبير عن بلده :

يزيدنا الكاتب آخراً من صور العجيب والغريب في متن رحلته قبل سفره للعاصمة السنغالية دكار، منها الهيئة والصورة الخلقية للمستشار الثقافي للسفارة السنغالية ببولندا، والذي انبهر منه لحظة رؤيته أول أمره، "...، وبعد لحظات خرج من القبو شاب طويل جداً، ذو وجه وديع ..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 09)، تتقل سلس جميل في الحديث عن حال السفارة إلى حال أصحاب السفارة ...، إنه التنوع والتلون في سياق العجيب، إنها جمالية

التحول السلس في رسم المشاهد وتلونه بعديد الصور داخل السياق الواحد، ثم يتدرج في سياق حديثه عن ذات الصورة في مشهد آخر من وجهة أخرى، كانت قد شدت انتباهه وحيرت أمره هي كذلك، حين سألته عن المسائل المتعلقة بالطرق الصوفية ببلاده، كيف لا؛ وهو الذي يمثل ثقافتها هناك، فلم يجد للسؤال جوابا من لدنه؟! "... وأخذت أشرح له مهمتي كباحث من جامعة وارسو إلى السنغال، والظاهرة التي أريد أن أدرسها، كنت أنتظر منه يزودني بمعلومات أكثر عن الطرق الصوفية التي أقتفي أثرها، وخاصة الطريقة اللاتية، ولكنه بدا مندهشا كأنه يسمع عنها لأول مرة..." (ياسين قلوش، د.س، الصفحات 09-10)، إنه التدرج الزمني والتتابع المكاني في سرد الوقائع والأحداث، بحسن الرسم وجميل النسج.

3. 1. 3. إدارة هاو بالسفارة السنغالية :

يرد لنا الكاتب ما وقع له من أحداث غريبة قبل السفر، وهو بمعية المستشار الثقافي، إذ أن الواقع الذي تعرفه إدارة السفارة السنغالية ببولندا في إدارة شؤون الأعمال، يعتبر عملا هاو في ظل واقع رقمي، ورقي حضاري يشهده العالم، ليذكرنا بتلك العقبات الإدارية الغريبة التي صاحبت عملية أخذه لتأشيرة السفر، "ثم سألتته عن إجراءات التأشيرة والوقت الذي يستغرقه إصدارها. فقال لي: هل معك جواز سفرك الجزائري؟ فسلمته إياه، وأعطاني استمارة كي أملأها...، وبينما أنا أفعل ذلك عاد بجواز سفري وابتسامة تعلو وجهه...، منحني ذلك بعض الارتياح الكاذب...، سلمني جواز سفري، وقال بأنه علي أن أعود مرة أخرى مصحوبا بتذكرة السفر والحجز الفندقية..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 10)، ليتسلسل الكاتب بين ثنايا سرده في ذكر ما وقع له عن المشهد نفسه، حين عاد إلى السفارة بعد يومين من تنفيذ ما أمر بعمله من تجهيز وثائقه، لكنه تفاجأ لحقيقة ما وجد "...، ولكن وجدت شخصا آخر هناك، وهذا الشخص طلب مني وثيقة أخرى من الجامعة. " (ياسين قلوش، د.س، الصفحات 10-11)، ويعاود ما طلب منه عمله، لكن تزيد دهشته أكثر من واقع إدارة مقلق، "وبعد ثلاثة أيام حصلت على الوثيقة وأحضرتها، لكني لم أجد أحدا في السفارة..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 11)، ويزيد استغرابه واندهاشه من حال هذه السفارة كذلك وقت مجيئه، لإتمام إجراءاته الإدارية قبل نهاية الدوام المسائي، "...، وما يثير العجب أكثر هو أن الأبواب لم تكن مغلقة، فأني أحد يمكنه الدخول متى شاء. " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 11)، ليواصل مستزيذا في عرض استغرابه من تصرف موظفي الإدارة بهذه السفارة، وذلك بعد رجوعه بالأمس بسبب غياب إداري السفارة، وعودته ثانية، "وفي اليوم الموالي عدت صباحا، ووجدت صاحبي، لكنه أمرني بترجمة الوثيقة باللغة الفرنسية عند مترجم محلف، بحجة أنها كانت باللغة البولندية...، ففعلت، وعدت في اليوم الموالي، ولم أحصل على التأشيرة إلا قبل سبع ساعات من موعد إغلاق الطائرة..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 11)؛ إنه الترتيب في التسلسل للوقائع والأحداث لمشهد واحد، حمل عديد التصرفات الغريبة لهذه السفارة، فاستطاع الكاتب جمع تلك المشاهد والمواقف الطريفة والغريبة بأسلوب مرن، وتصوير رائع، حسن من خلاله المشهد، وقرب بواسطته الصورة للقارئ والمتلقي، ليجد نفسيهما أسيرين لتلك المشاهد الطريفة والغريبة من الوقائع والأحداث، فيها الكثير من الإثارة والتشويق والتعجب؛ وهو مما جمل النص وحسنه شكلا ومضمونا.

جسد لنا الكاتب من خلال هذه المحطة الأولى من رحلته بعضا من عجيب وغريب المشاهد والتصرفات، التي تحكي عن واقع لسفارة السنغال بدولة بولندا، وحال موظفيها العاملين فيها، لهو محرك نفسي، وساحب قوي للقراء والمتلقين، مواقف ووقائع وأحداث تسحب العقل، وتجذب الفكر نحوها، إذ استهلها بصور مثيرة للاستغراب والاستعجاب، قصد إدخالهم في إطار محكيها العام، والسير بعقلهم وفكرهم ووجدانهم طريق أحداثها ووقائعها من بداية الرحلة وحتى نهايتها .

إن براعة الكاتب، في رسم جودة الاستهلال الرائع، الجالب للتشويق، والمثير للإعجاب، والدافع للتساؤل من لدن القراء والمتلقين، لمعرفة طبيعة هذا السفر، والذي أثار نوازح الشوق لمعرفة، بذكر تلك المواقف الطريفة والطريفة التي وقعت معه قبل سفره مع السفارة السنغالية بوارسو البولندية، فذكره لحالة السفارة من تواجد بابها مفتوحا، وغياب موظفيها أحيانا عن العمل، وما جناه من متاعب لاستحضار التأشيرة...، كانت حالات ساحبة جاذبة في سردها، وهي صناعة أجاد الكاتب فيها، إذ زاد هذا العجيب والغريب في مستهل هذا النص حسنا، وأبرق في ملمحه بهاء، وأزاح السرد عن نمطية الطبيعي المفضي للرتابة والاعتيادية، فسياقات العجيب والغريب مشعرات حسية، تصحو بنفس المتلقي، بإيقاظ مشاعره، وتحريك عواطفه، لتكون جرعة وعي، ومصدر انتعاش، للعيش بعقله وفكره ووجدانه مع مجريات الوقائع والأحداث التي تصور المشهد في ملمحه العام.

3. 1. 4. من عجيب خلق الله تعالى:

يأتي الكاتب بتصوير ووصف بالغ في الذهول، باعث على الحيرة، مما رسمته قدرة الله تعالى في كونه من آيات عظام، تدل على عظمة الخالق في خلقه، وذلك مما رآه الكاتب من مشهد علوي وهو في الطائرة، يتأمل هذا الخلق العجيب في كونه، ليقدم وصفا بديعا عن هذه الآيات الكونية، "...ارتفعنا في السماء وشققنا الغيوم، كانت الشمس تميل إلى المغيب... وبما أننا كنا نتجه من الشرق إلى الغرب (عكس اتجاه دوران الأرض)، تسمرت الشمس في مكانها لساعات ترقبنا قبل أن تغرب، وكأنها تودعنا، هنا تتعطل فلسفة الزمان والمكان، وهذا ما يعطي للسفر طعمه...، كان السؤال الذي يشغل بالي هو ماذا لو كنت صائما ؟ " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 12)، يقدم لنا وصفا لأعاجيب الكون لا يدرك حقيقة أمرها، ولا يقدر عظمتها إلا من تدبر هذه الآيات الكونية الموجودة بين السماء والأرض...، إنه سحر الصورة، وروعة الإبداع .

ويذهب في موضع آخر من نفس الموقع والمكان، مقدما صورة ساحرة لمشهد كوني من على علو من الأرض، وهو يتأمل من وجع ضررس اقتلعه قبل السفر (ضررس لعقل)، ليخفف عنه الآلام حين رؤيته وتأمله لبديع خلق الله، فاستمتع بعجيب ما رأى، "...، كنت أنا أتراقص من الألم، لكن نسيت الألم بسبب المنظر من نافذة الطائرة، كان مشهدا خرافيا من الصعب وصفه بالكلمات. كنا نحلق فوق السحاب بارتفاع كبير، وكان فوقنا القمر بدرنا منيرا تلك الليلة يسطع بكامل نوره على السحب تحتنا التي تشكلت في هيئة جبال عظيمة، فنحن الآن وحدنا بين السماء والأرض، بين القمر والسحاب، الأضواء مطفأة داخل مقصورة الطائرة، والمنظر خارج الطائرة يبدو واضحا وبديعا؛

نرى جبال الغيوم بيضاء ناصعة من الجهة التي يصيبها نور القمر، ويظهر ظلها في الجهة الأخرى التي لا يصيبها النور أسودا قاتما، مشهد ساحر ورهيب ... سبحان البديع العظيم، ما أصغرنا. " (ياسين قلو، د.س، الصفحات 21-22) ، قمة الوصف وروعة الرسم ذلك الذي قدمه الكاتب عن هذا المشهد الخرافي، صنع الله الذي أتقن كل شيء.

فالكاتب بمثل هذه المحكيات العجيبة الساحرة المدهشة التي ضمنها سرده، وهو يصف مشاهد بديعة من رحلته وهو على متن الطائرة، أعطت جمالا مبهرًا، وسحرا عجيبا، زاد النص بهاء المشهد، وأعطاه وضاءة في سرده، يستشعره، ويبتسمه القارئ لحظة قراءته المتمعة، فالكاتب لم يكتف بذكر ما ألفه الناس، واعتادوا عليه وهم داخل الطائرة من شتي الأقوال والأفعال الروتينية التي ألفوها، ليستبق القارئ والمتلقي المخبر عنه قبل قراءته، لأنها بانت عنده من المعلومة عنده، لتحدث في نفسه رتبة التلقي، لكن بث فيها من العجيب والغريب ما شاء، ليجعل من المشهد جاذبا ساحبا، وفي سرده رونقا وجمالا.

3. 1. 5. من أساطير "ابن بطوطة" عن بعض الأناس من السنغال:

إن من دهاء الكاتب في استعمال العجيب، هو سياقه عجيب الخرافات عن أناس من السنغال قبل وصوله، فأراد بتوظيفه وهو في طريقه لها، بث الإثارة والتشويق، والسير مع الأحداث لما هو قادم من لدن القارئ والمتلقي، حين زج بعجيب مخيف عن أناس السنغال قبيل ساعات من سفره إلى هناك، فكانت بحق لبنة عجيبة، مثيرة ومشوقة لما قد يقع للكاتب وهو بهذا البلد، إنها التساؤلات والتأويلات والتوقعات التي تختلج الفكر، فتثير شجونه، وتحرك عواطفه تجاه ما هو قادم، لتولد فيه الأحاسيس والمشاعر الجياشة من خلال هذا السرد العجائبي، و ذلك حينما استغل بعض وقته في مطار "اسطنبول"، للأنس ببعض ما كتبه الرحالة المشهور "ابن بطوطة" عن السنغال في بعض أناسها من كتاب في نسخة إلكترونية، "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. كان أمرا مقلقا، وخبرا مفزعا، بث في نفسه الرعب، وثبط من عزيمته في السفر لهول ما قرأ عنهم، " قدمت على السلطان " منسى سليمان " جماعة من هؤلاء السودان الذين يأكلون بني آدم معهم أمير لهم، وعادتهم أن يجعلوا في آذانهم أقراطا كبارا، وتكون فتحة القرط منها نصف شبر، ويلتحفون في ملاحف الحرير، وفي بلادهم معدن الذهب، فأكرمهم السلطان وأعطاهم في الضيافة خادمة فذبحوها، وأكلوها ولطخوا وجوههم وأيديهم بدمها، وأتوا السلطان شاكرين، وأخبرت أن عادتهم متى وفدوا عليه أن يفعلوا ذلك، وذكر لي عنهم أنهم يقولون: إن أطيب ما في لحوم الآدميات الكف والثدي. " (ياسين قلو، د.س، الصفحات 19-20)

إن استدعاء الكاتب لهذا المشهد الأسطوري بسرد الرحلة في أولها، وقبل الوصول إلى السنغال، كان فيه نكاء وفطنة من لدنه، وذلك لفتح شهية القارئ أكثر، لالتهم جميع ما تبقى من الرحلة، فالمشهد فيه ذهول الفعل وعجيب التصوير، فيه لفظة جمالية ومسحة فنية بارعة، ليسكب هذا الممزوج السردى على الرحلة ذوقا فنيا رائعا راقيا، فيلقي على النص حسنا وجمالا، ووضوحا وبيانا.

3. 1. 6 . دكار من بعيد؛ العاصمة الشبه مظلمة:

قدم لنا الكاتب وصفا عجيبا غريبا لحال العاصمة السنغالية الشبه مظلمة، وذلك من صورة علوية من الطائرة، قبيل حطها بالمطار بدقائق في وقت متأخر من الليل، "تمنيت أن يكون وقت الوصول إلى دكار في النهار، حتى أتمكن من رؤية المدينة، ففي الليل تكاد لا ترى شيئا، بسبب غياب الإنارة العمومية هنا. " (ياسين قلووش، د.س، صفحة 20)، جاء حال الاستغراب من الكاتب هنا مقرونا بتلك الصور المشابهة المتألئة التي لاحظ عليها عواصم أخرى من نفس الموقع والوقت وهي: العاصمة التركية أنقرة، والجزائرية الجزائر

نستخلص من المحطة الأولى للرحلة، أن ما نثره الكاتب في مستهلها من تلك الغرائب والعجائب التي وقعت معه، أو شاهدها، أو قرأ عنها قبيل سفره للسنغال، أنه أدرك أهمية هذه الاستعمال، فأجاد من خلالها تقديم رحلته، فاستطاع بهذا النسيج المتفرد، إثارة وتشويق القارئ بحسن الإخراج، وجودة الرسم، فتح من خلال ذلك أفق انتظار وتوقع، يستشرفها القارئ وهو يقرأ النص ويتمثل المشهد، فالتدرج السلس في ترتيب وقائع وأحداث رحلته، والتوظيف المحكم في استعمال العجيب والغريب في متنها، أعطى للنص نكهة ولذة كبيرة، جعلت من المتلقي أسير قراءته.

3. 2 . العجيب بعد الوصول لبلاد السنغال:

ظل استعمال العجيب ديدن الكاتب، فلا تكاد تخلو خطوة من خطوات رحلته، ولا محطة من محطاتها المفعمة بالحيوية، إلا ووضع بين حكاياتها ما استغرب وتعجب من حاله، هذا الصنيع البراق الذي يضيف على السرد حسنا في تعبيره، وجمالا في أسلوبه، وبيانا في معناه، لهذا جاء الكاتب بصور وفيرة في محطته الثانية هذه، ومما جاء منها، وهو حالا بأرض السنغال وبين أهلها ما يأتي :

3. 2. 1 . في دكار العاصمة الشبه مظلمة:

يقول عن المشهد نفسه بعد الوصول إلى السنغال، وخروجه من المطار: "...، ولدى خروجي من باب المطار، كان أول من استقبلني نسمة هواء منعشة ولطيفة، قادمة من المحيط الأطلسي، ملتحفة بسواد الظلام الحالك، فالإنارة العمومية كما أدركت بعد ذلك نادرة وعزيزة هنا. (ياسين قلووش، د.س، صفحة 27)، ومما ساقه أيضا عن قلة الإنارة بدكار، وهو على متن حافلة ركاب يصف مشهد الطريق ومحطة المسافرين التي ركب منها، "وانطلقت الحافلة، وسرنا في طريق سريع، لكنه مظلم...، كان السائقون ضخام الجثث، يتفاوضون مع المسافرين في المحطة حول أسعار توصيلهم، وكان الظلام دامسا، والأضواء الوحيدة التي تثير المكان هي أضواء سيارات الأجرة والحافلات. " (ياسين قلووش، د.س، صفحة 27).

وعن ذات الصورة السوداء في موضع آخر، وهو يصف حال فندق في العاصمة "دكار" بعد أن أقام فيه ليلة بعد عودته من "طوبى" التي قصدتها للتعرف عن الفكر الصوفي فيها، "...، والكهرياء هنا ليست رخيصة بالمره، فصاحب الفندق كان يكتفي بوضع مصباح واحد في الرواق، ليضيء الغرفة والحمام معا، وكذلك المأخذ الكهربائية نادرة هناك، فلم يكن هناك من السهل الظفر بمأخذ لشحن الهاتف، أو الكمبيوتر، أما الناس هنا فهم متعودون على

العيش دون كهرباء...، وحتى الطرق لا توجد بها إنارة عمومية، باستثناء بعض الشوارع الرئيسية وسط دكار، فإذا خرجت من دكار لا تجد إلا الظلام الحالك. " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 27).

وهي نظرة استغراب من كاتب لحال بلد تنام على الذهب، وخيرات طبيعية كثيرة، لو استغلت لأضاعت كل شبر من أرضها، وهي النفاة ذكية منه أيضا لخلق الإثارة والتشويق، وفتح أفق توقع وانتظار من القارئ لما هو قادم من الأحداث. إنها المصيدة العجيب في روعة السرد وبراعة التصوير.

3. 2. 2. خلقه وأهل السنغال:

تابع الكاتب ذكر أحداث وقائع رحلته للسنغال ، فبعدما سرد المحطة الأولى . قبل الوصول للسنغال . ، وما أعقبها من وقائع وأحداث، امتزج فيها الواقعي بالعجيب والغريب، ساقها للقراء بعناصرها المهمة حتى لحظة وصوله، وهاهو يعقبها بأخرى من داخل السنغال، إذ يواصل الكاتب مزج محكي سفره بهذا الاستعمال الممتع، فما إن حطت الطائرة بالمطار ببلاد السنغال ودخلهم لبهوه، أخذت الكاتب حالة استغراب مما وقعت عليه عينه وهو بالمطار ، صفة وحال موظفيه في ملمحهم ونشاطهم، في وقت عادة ما يفتر فيه الناس ويقل عطاءهم . آخر الليل . ، ليقدم لنا وصفا للصورة المتعجب منها، "...، كانت كل الوجوه في استقبالنا سمرء، يبدو عليها النشاط والحيوية رغم الساعة المتأخرة من الليل. الناس طوال القامة هنا رجالا ونساء، ويتمتعون بجمال ورشاقة طبيعية، يحسدهم عليها الأوروبيون." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 27)، فالعجيب في الصورة يتأتى من أمرين؛ النشاط والحيوية التي لوحظ عليها موظفو المطار في ذاك الوقت الذي يقل فيه عطاء الناس غالبا، وما ألمحه من ميزة الطول والرشاقة وغلبة اللون الأسمر التي يميز السنغاليين، وكان ذلك مقرونا بهيئة الأوروبيين الغالب عليها البدانة التي اعتدى على رؤيتها هناك.

ويزيدنا الكاتب في المكان نفسه سرد ما استغرب منه، في ظل وضع خدماتي صعب داخل المطار، يتضجر من حاله المسافرين، ويقلق منه لأول نظرة، إلا أن حال أهل السنغال داخله أمرهم طبيعي وعادي، إذ صار جزء من حياتهم اليومية، ليأخذه إلى قول "سبحان الله العظيم" ، " استغربت ببطء إجراءات مراقبة الجوازات في المطار، وطول صف المنتظرين، والناس هنا لهم صبر لا ينفد، وأعصابهم أصلب من الحديد." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 25)، ثم استغرابه في أخرى من هيئة المطار وحاله، " نبض الحياة يتباطأ هنا، أضواء المطار أخفت، وأقل من الأضواء في المطارات التي مررت بها، ويبدو أصغر حتى من مطار الجزائر بمحطتيه مجتمعيتين، لكن الناس كلهم مبتسمون وهادئو الطباع. شعب بشوش جدا " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 25).

ويقول عن آخر في خلقته ودمائة أخلاقه . وهو سائق لتاكسي . ، أخذ من المطار إلى الفندق ليلا : " كان سائق التاكسي طيبا وبشوشا إلى حد بعيد... ، لقد كان رجلا نحيلاً وطويلاً...، وكان هادئ الطبع، كثير الابتسام، بل مبتسما طوال الوقت، وكان يأتي على لسانه ذكر الله كثيرا في أثناء حديثه، يبدو عليه الصلاح، مظهره يبعث على الراحة والطمأنينة، ورغم اهتراء سيارته، لكن كان يبدو من النوع الذي يرضى بالقليل، وهو مثال عن الشعب السنغالي في دكار، شعب متدين رقيق الحاشية لطيف المعشر " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 28)، وفي أخرى

مبرزا أمانة السنغاليين من خلال تلك الصورة التي تنقل أمانتهم وصدقهم، خوفا من الله، والمتمثل في إرجاع صاحب التاكسي ما تبقى له من ثمن التنقل من المطار إلى الفندق، والذي لم يكن عنده لحظتها؛ ليلا، إذ وعده بوجوده عند صاحب الفندق صباحا، "وعند الخروج من الفندق سلمني موظف الاستقبال الثلاثة آلاف فرنك المتبقية لي من سائق الأجرة، وعرفت فيما بعد أنهم يستأمنون بعضهم بعضا على كل شيء وبدوم ضمان، حتى على المبالغ الكبيرة." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 32).

ومما أعجب به الكاتب تلك الشهادة التي أخبره من خلالها الزائر الألماني الذي إنقاه فيها بالسنغال بمعية رافقه في رحلة هناك، وقبل مغادرته التراب السنغالي وجهة بلاده، أخبره عن أمن وأمان السنغاليين "...، وقبل أن يغادر قال لي: "لا تقلق، فالسنغال كما قلت لك نسميها إفريقيا المبتدئين". وقد كان على حق، فقد تبين لي لاحقا أن المسافرين لا يخاف في بلاد السنغال ولا يخشى المقيم من السرقة والغصب..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 32). فمثل هذه الخلق والصفات النادرة - غالبا - في عديد العواصم والمدن، هي موجودة في بلاد السينغال، وهو ما وقف عليها الكاتب في تعايشه مع أهلها، مما شد انتباهه وأثار اندهاشه بالحديث عنها في سياق الأحداث والوقائع، وهي لسمة فنية تجمل السرد، وتمتع القارئ والمتلقي بالرغم من واقعية الأحداث واعتيادها، إلا أن هذا المبتوث السلوكي المستغرب منه، زاد السرد زينة وأعطى للصورة أكثر انقشاعا ووضوحا.

ومما جاء من صور الغريب التي حملها النص، ما ساقه الكاتب وهو بمدينة "توبة" والمتمثل في تلك الهيئة التي عليها وجد عليها أناس من الطائفة المريدية، "ورأيت في أطراف المسجد وحواليه رجالا ضخام الجثث، حفاة الأقدام، صلح الرؤوس، وبعضهم شعره طويل جدا به ضفائر، لابسين أثوابا (عبايا) فضفاضة عريضة واسعة الكمين معظمها بالية بنية أو رمادية مشدودة في الوسط عند الخصر بحزام." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 72)، وعنهم يقول أيضا: "... وأكثر ما يشد الانتباه هم أتباع "الباي فال" بشكلهم الغريب، رؤيتهم لأول وهلة، ذكرتني بالرهبان في مسلسل "صراع العروش"، قد قيل إنهم يقومون بتنظيف كامل مدينته "توبة" شبرا، شبرا كل عام قبل عيد مغال وبعده..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 74)، فتضمن هذه الصورة ضمن سرد الوقائع والأحداث التي جرت للكاتب بمدينة "توبة"، زادت في إبراز صورة المشهد وأعطت لمحة للسرد.

3. 2. 3. من وسائل النقل بالسنغال:

وقف الكاتب على مظاهر عجيبة، تخص وسائل النقل ببلاد السنغال، إذ لم يخطر على باله وهو في عصر التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، أن يغلب على مظهرها العام وسائل نقل بدائية، تملأ طرقات وشوارع دكار، وهي مجانية ومزاحمة لأرقي السيارات وأفخمها، تلك الوسائل المستعملة لنقل الناس والبضائع، وهي مفارقة عجيبة، جلبت انتباه الكاتب في أول إطلالة نهائية له على بعض من شوارع دكار، "ولم استيقظ في الصباح إلا على صوت الباعة في الشوارع، ووقع حوافر الأحصنة التي تجر عربات الباعة، والأحصنة تستخدم هنا بشكل واسع جدا لنقل البضائع ومواد البناء، وحتى لنقل المسافرين..."، وبين الفينة والأخرى، ألقي نظرة على السيارات الفخمة التي تمر

فى الشارع جنباً إلى جنب مع عربات الحمالين الكادحين، التى تجرها الأحصنة والموتوسيكلات التى تتسع لأربعة أو خمسة أشخاص... (ياسين قلوش، د.س، صفحة 32).

ويذهب فى موضع ثان وهو فى رحلة استجمامية، قادتة إلى الحظيرة الوطنية بنهر "السلوم" بجنوب دكار، ليصف لنا مركبة ركبها للوصول إلى هناك، "...، وبعد أن اشترت التذكرة، فوجئت بعربة كان هو يسميها: "مينى باص"، وأنا رأيت أن أكثر اسم يناسبها هو صندوق حديدي، كان عبارة عن صفائح حديدية ملحمة مع بعضها البعض، ورغم صغر حجمه، إلا أنى لم استوعب كيف تمكن السائق من تكديس خمسة عشر شخصاً داخلها، هذا دون احتساب الأطفال الصغار (ثلاثة أطفال)، والذين كان أولياؤهم يضعونهم فوق حجورهم ...، وعند الإقلاع قام ثلاثة رجال بدفع العربة حتى يشتغل المحرك، ثم انطلقنا نحو الحظيرة... (ياسين قلوش، د.س، صفحة 92)،

وفى موضع ثالث عن ذات المشهد الغريب حول وسائل النقل فى السنغال "...، فعرفنى الشاب على نفسه، ثم قال : لنخرج من المسجد وننتظر سيارة تاكسي، وقال لي : لا تقلق فيبتي به تيار كهربائي، ويمكنك شحن هاتفك، انتظرنا مدة قصيرة، ثم أقبل حصان يجر صحيفة بها عجلتان، ويقودها شاب صغير، كتب عليها كلمة "تاكسي" بالفرنسية، وقال لي : أركب ؟..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 77).

فاستعمل مثل هذه المشاهد بأوصافها الغريبة والعجيبة من لدن الكاتب، وهو ينتقل بين مدن وقرى السنغال، يزد المشهد وتشويقاً ومتعة، يتلمسها القارئ باستشعار جماليته وذوقياته الراقية، أسلوباً ومعناً لتعطي السرد روحاً، وتزيد الصورة إشراقاً ووضوحاً.

3. 2. 4. شوارع دكار المغربية:

ما لم يتوقعه الكاتب وهو يحل بالسنغال، أن يلحظ بعض الطرق لشوارع رئيسية فى قلب عاصمتها تراباً، فيذكر لنا مشهداً عن الصورة...، أخذت حماماً، وجلست فى البلكونة، لأنظم برنامجي وعملي فى الحاسوب المحمول مرتشفاً الشاي، ومستمعاً باستنشاق الغبار المتصاعد من الشارع ... " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 30).

ويذهب فى موضع آخر، واصفاً مشهداً من شوارعها، وهو على متن الحافلة متجولاً، "حاولت أن لا يفوتني شيء، وأنا أنظر إلى شوارع دكار وإلى وجوه الناس، كانت الشوارع بعضها واسعاً وبعضها ضيق، لكن الغبار الذى ينبعث من شوارع دكار يصل إلى الحلق، فالتربة هنا طينية حمراء، وفى موسم الجفاف تصير كلها غباراً ... " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 33)،

ويذهب فى موضع ثان يصف مشهد آخر "...، كان الأكل لذيقاً جداً، لكن كان هذا اختصاراً حقيقياً لمناعتي، فكل هذا كان فى الهواء الطلق وسط الطريق المليء بغبار المارة والسيارات وتحت أشعة الشمس مباشرة ... " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 34)، فذكر الكاتب لما اندهش منه، جاء مما لا يعقل أن تكون عليه شوارع كثيرة فى قلب دكار السنغالية غير معبدة، وهو عجيب يعطي السرد حسناً وبهاءً، وصورته وضوحاً وبياناً.

3. 2. 5. جزيرة "غوري" الساحرة:

يقودنا الكاتب في حديثه هذا إلى تقديم وصف وأخبار عن الجزيرة وساكنتها...، وهي جزيرة صغيرة، لا تتعدى مساحتها ثمانية عشر هكتار، يسكنها حوالي ألف ونصف ألف من الناس مع ماشيتهم، حميرهم، دجاجهم، وكل أصناف الحيوانات الأليفة..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 34)، ليعقبها بسرد معلومات تاريخية عن بعض الأمكنة العامة، بتقديم أخبار غريبة عن سجن قديم لتلك الجزيرة الصغيرة الواقعة قبالة ساحل دكار، أخبار تثير الاستغراب مما كان يفعل فيها بعبيد إفريقيا في قرون خلت، وفي هذه الجزيرة مسجد وكنيسة ومدرسة وقسم شرطة ومتحفان، أحدهما تاريخي والثاني كان قبل قرون خلت عبارة عن سجن يحبس فيه العبيد من بلدان إفريقيا المختلفة قبل شحنهم إلى أميركا، يسمى "دار الرقيق"، وفي هذا المتحف مرشد أو قائم على المتحف ضخم الجثة، يخرج كل نصف ساعة إلى فناء المتحف، ويقدم شروحات تاريخية للسياح عن دار الرقيق، وبهذا السجن فتحة باب، لكن ليس لها باب مفتوحة مباشرة على المحيط الأطلسي، كان كل من خرج من ذاك الباب لا يعود إلى إفريقيا أبدا، فإما أن يشحن إلى أميركا، وإما أن تأكله القروش إن أراد الفرار. " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 35).

ثم يعقب هذا بوصف المشهد الساحر للجزيرة وقت رجوعه قبيل الغروب، لمشهد عجيب تجلى له من عرض البحر، مشهد يأسر النفس ويسحر العين، "كان المنظر ونحن نركب البحر للعودة إلى دكار خرافيا، فالشمس كانت تميل إلى المغرب وتعكس نورها الأحمر الياقوتي على مياه المحيط الأطلسي، فيرتد ذلك النور اللطيف ليميع في الضباب الذي يكسو مدينة دكار وحوايلها، فتظهر عمارات ومباني دكار من خلف الضباب كأنها لوحة فنية لا يرسمها إلا المصور البديع. " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 37).

هذا التنوع في استخدام صور العجيب والغريب في تصوير المشاهد، ووصف الأمكنة، يضيف للسرد لذة، ويعطيه رونقا وجمالا، فيجعل من القارئ أو المتلقي أسير نصه، فالكاتب انتقل بهذا بالنص ببث هذه الصور إلى جودة السرد، وحسن المعنى ورقي النص.

3. 2. 6. الطرق الصوفية في السنغال:

تعد الطرق الصوفية في السنغال المقصد والمبتغى الأساس من رحلة الكاتب للسنغال، لذا كان من الطبيعي أن يأخذ سرد الرحلة جزءا كبيرا منها، فالكاتب ساق لنا بعض الأخبار عن طريقتين صوفيتين، حملتا عدیدا من العجائب المتمثلة في أقوالهم وأفعالهم، وهي لمسة إبداعية زادت الرحلة جمالا ووضوحا، ومما أتى به الكاتب عن الصوفية ما يأتي :

3. 2. 6. 1. الطريقة اللاتنية (اللاهية):

يقدم لنا الكاتب تعريفا موجزا عن الطريق اللاتنية وبعض معتقداتها، فالطريقة اللاتنية معقلاها في "كامبيرين" قرية ساحلية بدكار تسكنها الطائفة اللاهية)، إحدى ضواحي دكار...، وهذه الطائفة تزعم عقيدة أنها سنية المنهج، يقول الكاتب متحدثا عنها: "وهذه الطائفة تدعي أنها تنتمي إلى الصوفية السنة، إلا أنها تأسست على يد شيخهم وزعيمهم

الذي ادعى أنه المهدي المنتظر، وأن ابنه هو تجسيد لعيسى عليه السلام، وزيادة على هذا يحتفلون بعيد ميلاد المسيح في نفس اليوم الذي يحتفل فيه النصارى بعيد الميلاد " (ياسين قلو، د.س، صفحة 38)، ففي الفكر اللاتى تناقضا في عقيدتهم، بل وفيها فساد كبير، كون ما يعتقدون خاطئ لا يتماشى و الشريعة الإسلامية، وهو ما يعجب المرء منه وينبهر لحاله، فاستعمال هذه العجيب من الإخبار عن هذه الطائفة المتصوفة، يكسي السرد قيمة معرفية، كما يعطيه إثارة وتشويقا، في تتبع الأحداث والسير معها من لدن القارئ والمتلقي، وهو الحسن والجمال بعينه.

ومما أتى بين ثنايا سرد هذه الرحلة من عجيب، وقد شد انتباه الكاتب وأثار فضوله، أن هذه الطائفة الصوفية خصصت شرطة خاصة بها، تجوب الشوارع بسيارة وباستعمال مكبرات صوت، تعلن وتعلم من خلالها عن تحريم تعاطي التدخين على أتباعها، ويشار إلى ذلك أيضا عبر لوحات كبيرة معروضة في بعض شوارعها ... ، بل والأكثر أنها تحرم تعاطيه حتى على كل من يدخل مدينة " كامبيرين " من الزائرين من داخل السنغال أو خارجه، " بعد خروجي من المطعم لاحظت لوحة كبيرة مكتوبا عليها يمنع التدخين في كامل القرية. " (ياسين قلو، د.س، صفحة 41).

ويقول عن ذات الأمر في موضع آخر: "...، ومن خصائص طريقتنا أن شيخنا نهانا عن التدخين، كما نهانا عن الكحول ... ولن تجد هنا في " كامبرين " محلا يبيع السجائر أو شخصا يدخن سيجارة، فهو محرم عندنا. " (ياسين قلو، د.س، صفحة 52)، فعجيب الأمر فيما حكاه الكاتب هنا، لا يكمن في تحريم ما حرم الله تعالى أصلا، لكن الاستغراب والتعجب يكمن في طريقة التشهير بحرامه دون غيره مما حرم من المحرمات الأخرى، في حين أن أهل هذه المدينة يتعاطونه خفية عن أعين أناس تحكمهم . يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله .، يقول عن رجل استضافه في بيته بهذه المدينة : "...، وكانت عنده غرفة مظلمة ليس بها مصباح، اعتقدت أنها مطبخ من الأواني التي فيها، كان يدخلها كل حين ليدخن السجارة ... " (ياسين قلو، د.س، صفحة 79).

يزيدنا الكاتب بعضا من عجيب وغريب هذه الطائفة داخل سرده، و ذلك من مما خصه به خليفة هذه الطريقة حين حواراه عن الفكر والمعتقد اللاهى الفاسد، " أصر على القول أننا لسنا طريقة كغيرنا من الطرق الصوفية، نحن نؤمن بالمهدي الإمام اللاهى (نسبة إلى الله ، ومنه أخذت الطريقة اسمه اللاهية)، كما نؤمن بعودة عيسى الذي كان أول خليفة للمهدي "ليمام اللاهى"، وهو المسيح العائد إلى الأرض (في نظرهم المسيح عيسى قد عاد إلى الأرض، وهو الخليفة الأول لمؤسس طريقتهم الإمام اللاهى المهدي، وهو الذي يسمونه "سيدنا روح الله" ، فمن المنطقي عندهم بعد ظهور المهدي يظهر المسيح عيسى)، يتبع قائلا في نفس الإطار: "الطريقة اللاهية أسسها ليمام اللاهى المهدي...، وعندما بلغ الأربعين من عمره المهدي وقد دعا الإنس والجن أن أجبوا داعي الله... (ياسين قلو، د.س، صفحة 50).

ومن غريب ما أخبرنا به الكاتب عن اللاهيين أنهم أصحاب ولاء شديد لشيخ طريقتهم، ومما يؤكد ذلك أنهم يقومون بتخلي جميع مريديه ومنسبيه عن ألقابهم وأسماءهم العائلية، ويبدلوها بلقب " اللاهى " تيمنا وتبركا به،

وخوفا من حلول غضبه عليهم...، ولهذا ندعى اللاهيين أي الذين استجابوا لله ورسوله، وقد تخلينا عن ألقابنا وأسمائنا العائلية ... (ياسين قلوش، د.س، صفحة 50)، ويزيد إعجابنا وإبهارنا مما حكا...، كما أن لنا خصائص شعائرية ورثناها عن شيخنا الإمام المهدي اللاهي منها: يجب علينا ختان المواليد من الذكور في اليوم السابع من الولادة، وإقامة عقود الزواج على البنات في اليوم السادس من الولادة... (ياسين قلوش، د.س، الصفحات 50-11)،

واستغرب أيضا من ميزة تخص طريقة وضوئهم للصلاة، وربما نسي أن يضيف أن من بين الميزات الظاهرة في طريقتهم، أنهم عند الوضوء للصلاة يغسلون أرجلهم إلى الركبتين، وليس إلى الكعبين، وقد لاحظتهم يفعلون ذلك رجالا ونساء . (ياسين قلوش، د.س، صفحة 52)، ومن غريب معتقداتهم الخرافية أن إمامهم لا صورة له...، أما الشيخ المؤسس ليمام اللاهي المهدي ليست له صورة أبدا، وهذه إحدى كراماته، كل من أراد التقاط صورة له يفشل في ذلك، حيث بعدما يتفقد الصورة التي التقطها يجدها فارغة... (ياسين قلوش، د.س، صفحة 55)، والأغرب من هذا كله، أنهم يحتفلون بالكريسماس، ويقدمون يومه كالمسيح أو أكثر، يقول: "ثم التقيت هناك رئيس الجمعية التي تقوم على تنظيم الحفل الشاب "عبد الله كيبي"، وأجريت معه دردشة قصيرة حول الطريقة اللاتينية و الاحتفال بالكريسماس، وقال لي بأنهم تولوا تنظيم الاحتفال بعد وفاة "الشيخ الشريف الحسين الله" الذي كان أول من بدأ عادة هذا الاحتفال، وكان الفضل الكبير في نشر الطريقة والتعريف بها، حيث كان يسافر إلى دول مختلفة في أوروبا للدعوة إلى طريقتهم . (ياسين قلوش، د.س، صفحة 108)

استطاع الكاتب من خلال هذا الاستعمال للعجيب والغريب في هذه المحطات، أن يقدم لنا معرفة ثقافية عن أهل هذا الطريقة ببلاد السنغال، كما زاد استعمالها بين ثنانيا السرد جمالية وبهاء، تتجلى في ذاك التشويق الذي يجلب القارئ إليها، والإثارة التي تسوقه نحوها، وأضفى للصورة نصاعة، وعلى المشهد وضوحا وبيانا.

3. 2. 6. 2. الطريقة المريدية:

وهي طريقة صوفية، تتمركز في مدينة طوبى (مدينة تقع شرق دكار وتبعد عن العاصمة ب 190 كلم، تنتشر فيها الطريقة المريدية .) ، التي زارها الكاتب وعاش فيها أياما بين مريديها، ومن غريب ما ساقه الكاتب عن أحد المرشدين في المسجد الأعظم بهذه المدينة أن طوبى مدينة يحكمها نظام خاص، إذ أن شيوخها أهل سلطة وقرار على الدولة والحكومة في المدينة ولا تقوم بعمل إلا بإذنهم والترخيص عنهم....، ولهذا طريقتنا هي الأكبر نفوذا في السنغال، ونحن نسير هذه المدينة بأنفسنا، ولا نعتمد على الحكومة، بل إن الحكومة إذا أرادت أن تفعل شيئا هنا، عليها أن تأخذ الإذن من الشيخ الخليفة. " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 71).

ومن عجيب وغريب ما شاهده من معتقدات عن أناس طوبى "... وكان الناس يدخلون المسجد رجالا ونساء يتوافدون على الأضرحة، يدخلون ويسرون دعواتهم للصريح، ثم يخرجون ويضعون مالا في صناديق وضعت هناك . (ياسين قلوش، د.س، صفحة 72) .

ومن الصنيع العقدي الباطل الذي تعجب الكاتب لأمره، واندesh لحاله، وهو يقيم ليلة ببيت شخص من أهل هذه الطائفة بمدينة "توبة"، ما قام به اتجاهه، "ثم أخرج من درج الخزانة قارورتين إحداهما بها سائل زهري اللون، والأخرى بها سائل أحمر، وقال: أتدري ما هذا ؟ قلت: لا علم لي، إلا أن تخبرني ما بداخلها. قال: إنه "غري غري"، أدهن به كل صباح جسدي، والله وبالله...، لقد أعطانيه "أن غرون مورابو" (أحد كبار الشيوخ)، وإذا أردت يمكنني أن أبيعك شيئاً منه، أدهن به جسدك كل صباح، وسيجلب لك الحماية والبركة، فقلت له: إن السحر حرام، والشيخ "أحمدو بمبا" لو كان حيا لن يرضى بهذا." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 79).

3. 2. 7. أرقام حافلات النقل بصور زعماء الصوفية بالسنگال:

من غريب ما وقف عليه الكاتب - وهو في إطار البحث عن مواطن الصوفية -، هي تلك الصور لمشايخ الصوفية المعلقة على حافلات النقل الخاصة بهم، والتي تعد بديلاً معرفياً للمسافر عن المكان المتجه إليه دون ذكر اسم البلد أو الجهة، "...، كانت أرقام الحافلات مختلفة الخطوط التي تخدمها، وكل حافلة ملصق عليها صورة الشيخ الصوفي الذي ينتمي إليه صاحب الحافلة..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 38).

3. 2. 8. السنغاليون وحالهم مع الصلاة:

مما شد انتباه الكاتب وأعجب به، ذلك المشهد العام الذي يحيط بتأدية الصلاة في الهيئة التي يكونون عليها وقت شغلهم، " الناس هنا في دكار، يصلون حيثما أدركهم الأذان في الشوارع، وأمام سياراتهم، وخلف بضاعتهم فور ما يسمعون الأذان، تراهم يتوضؤون ويصلون، منهم من تراه خاشعاً في صلاته، ومنهم من ينقرها نقراً، ويراقب بضاعته أثناء الصلاة." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 40).

ما يلاحظ هنا، أن ما جاء به الكاتب من صور غريبة وعجيبة عن الطريقتين الصوفيتين، زادت السرد مرونة وانسيابية في تدرج أحداث ووقائع النص وتعاقبها وسيرها، ولونته بجميل ألوان المحكيات المخبرة عن هؤلاء الصوفية، لتعطيهم الحسن والجمال والبهاء والبيان.

3. 2. 8. في مدينة "سانت لويس" (سان لوي):

يروى لنا الكاتب طرفة وقعت معه باكراً، وهو متجه إلى محطة الحافلات للسفر إلى "سان لوي" (مدينة تقع شرق دكار وتبعد عن العاصمة ب 190 كلم، تنتشر فيها الطريقة المريدية)، في إطار علمي، إذ ناداه موظف الاستقبال باسم "ياسين"، يقول عن هذا: "ومن المفارقة أن اسم "ياسين" هنا تسمى به البنات" (ياسين قلوش، د.س، صفحة 58)، ويصف لنا صورة أخرى شدد انتباهه، وهو يركب الحافلة، وكان الضباب الكثيف، لا يتيح لك أن ترى أكثر من بضعة أمتار أمامك، وعجبت لمراوغات السانقة بالحافلة، وتجاوز العربات الأخرى في هذه الظروف الجوية، والسياسة هنا خطيرة جداً، لأن معظم السائقين لا يحترمون قواعد المرور. " (ياسين قلوش، د.س، الصفحات 58-59)، ويصف مشهداً طبيعياً وهو في طريقه "لسان لوي"، "...، وبدأ الضباب ينجلي، واقتربنا من مدينة "تياس"، وتكثر بها أشجار غريبة الشكل ضخمة ومقلوبة، فجذورها تبدو في السماء، بينما أوراقها يبدو كأنها تحت الأرض، هذه الأشجار تسمى شجر البواباب..." (ياسين قلوش، د.س، الصفحات 59-60).

ويقدم لنا وصفا آخر لمشهد طبيعي رائع قرب عن غروب الشمس وهو من على سطح الفندق، "...، وفي المساء جلست على سطح الفندق، استمتع بغروب الشمس على المحيط الأطلسي، وكان أجمل غروب شمس رأيته في حياتي، فالفندق يقع بين المحيط الأطلسي ونهر السنغال، ويمكنك أن ترى الماء من كل جهة. " (ياسين قلوش، د.س، صفحة 65)، وفي موضع ثان يصف المشهد من زاوية أخرى، "...، الفندق يقع في مكان مثالي بين بحرين، أو بالأحرى بين محيط ونهر عظيم...، وإذا صعدت إلى سطح الفندق أرى الجانبين معا، وكأنني في جزيرة صغيرة، بل هي فعلا جزيرة مستطيلة الشكل في عرض المحيط الأطلسي، يربطها باليابسة جسران..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 64).

فرج الكاتب من مثل هذه المظاهر الطبيعية الساحرة ضمن سرد الرحلة، ووصف لهذه الأمكنة الجميلة الفاتنة بهذا الأسلوب، تصب على النص جمالا ساحرا، وتعطيه بهاء فائتا، كما تزيد لصورة المشهد نضاعة وجلاء ووضوحا.

يتبع لنا الكاتب بث العجيب والغريب في نصه عن مدينة "سان لوي"، إذ يقف على مظهر أذهله، وهو يشكل المظهر الغالب على المدينة، بل تعدى حتى إلى جامعته التي تمثل مظهر العلم والرقى والتحضر، "وكان الماعز يسرح ويمرح حتى داخل الجامعة، وفي كل أرجاء المدينة..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 63)، ومما شد انتباهه، وأثار استغرابه، وأعجبت منه نفسه، طبيعة وميزة النقل التي تغلب عليها القدم والبساطة، بل منها من ابتكار بوسائل بدائية، "...، ألقى نظرة على السيارات الفخمة، التي تمر في الشارع جنبا مع عربات الحمالين الكادحين، التي تجرها الأحصنة والموتوسيكلات، التي تتسع لأربعة أو خمسة أشخاص..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 30).

وعن ذات المشهد في موضع آخر، واصفا حال حافلة ركبها وهو عاندا إلى "لكا" من "سان لوي"...، فأوصلني إلى باب الحافلة، وكانت الحافلة رخيصة جدا ومهترئة، فسألت إن كان يوجد غيرها...، ولم يكن بالحافلة نوافذ، بل فتحات في الأعلى فقط....، وكان باب الحافلة مربوطا بحبل يغلق به فكان طوال الرحلة يصدر صوتا مزعجا، حرمنا من النعاس..." (ياسين قلوش، د.س، الصفحات 65-66).

9.2.3. مدينة "توية" المفارقة :

مما ساق الكاتب ضمن رحلته من الغريب والعجيب، أن مدينة بكل هذا المعطي التاريخي والحضاري الذي تقوم عليه، كونها بلاد سياحي بامتياز؛ إلا أنها لا توجد بها فنادق للسياح والزائرين، لأجل الراحة والاستجمام، "...، وبعد صلاة المغرب، قال لي المرشد إن المدينة توية لا توجد بها فنادق..." (ياسين قلوش، د.س، صفحة 75)، ومن العجيب الذي أبهر منه الكاتب؛ التاكسي الذي نقله مع المضيف إلى بيته للمبيت، "انتظرنا مدة قصيرة، ثم أقبل حصان يجر صفيحة خشبية بها عجلتان، ويقودها شاب صغير، كتب عليها كلمة "تاكسي" بالفرنسية. وقال لي: أركب... أركب أين؟ أهذه هي التاكسي؟... قال: تجلس هنا على جنب وتمد رجلتك نحو الأسفل...، ولم يقلع الحصان إلا بعد أن امتلأت الصفيحة بالركاب، وهم عشرة أشخاص، خمسة على اليمين وخمسة على اليسار..."

(ياسين قلوش، د.س، صفحة 77)، ومن المظاهر الاجتماعية التي استغرب الكاتب منها؛ منع بعض التصرفات التي هي الحرية الشخصية في عديد دول العالم...، حيث يمنع في كامل أرجاء المدينة التدخين وشرب المسكرات، وعلى النساء وحتى الأجنيات تغطيه شعورهن في المدينة، ويمنع الغناء، أو تشغيل الموسيقى بصوت عال...". (ياسين قلوش، د.س، صفحة 89).

3 . 2 . 10 . في غامبيا الساحرة :

ذهب بنا الكاتب في سياق محكي سفره إلى الحديث عن بعض المناطق التي زارها في دولة غامبيا من دون قصد أو إعداد مسبق لذلك، غير أن السانحة كانت مواتية للوقوف فيها على بعض الأمكنة التي مر منها، والمناظر التي شاهدها، لينقل لنا ضمن متنه بعض ما شد انتباهه، وأثار إعجابه، ومما ذكر لنا عن ذلك حديثه عن محمية بمنطقة " سام " قرب الحدود الغامبية، "ولما نزلت، دخلت محمية طبيعية كبيرة بها طيور وزواحف كثيرة ومتنوعة، لم أر مثلاً من قبل...". (ياسين قلوش، د.س، صفحة 94)، ومن ذلك أيضاً وصفه لطريق أعجب من جماله الأخاذ، "وكان الطريق من أمدالاي إلى بارا، عبارة عن قطعة من الفردوس على الأرض، كله نباتات وأشجار استوائية، وزقزقة عصافير مختلفة، والمساجد تملأ الطرقات، بين المسجد والآخر مئات الأمتار فقط، والمساجد هنا مبنية بشكل دائري، وسقفها مخروطي الشكل بالجريد، أو مادة نشبه الجريد...". (ياسين قلوش، د.س، صفحة 98). إن إدخال مثل هذا من الغريب والعجيب في سياقات وأنساق النص، تعطيه طراوة سردية، وتزرع فيه الحسن والجمال، كما تعطي للصورة المحكي عنها إبرازاً ووضوحاً لمشهد العام.

. الخاتمة :

إن حرص الكاتب على تسجيل تلك المشاهد العجيبة، وتوثيق تلك اللحظات الغريبة، مما وقعت عليه عيناه وهو في سفر إلى السنغال، وإلى أن حل بأرضها، وعاش، وجال بين أهلها أياماً، كانت غالبها عناصر حاضرة في تأليف سرده، وصناعة نصه، وإثراء متنه، إذ شكل من خلال هذا الخليط من العناصر المختلفة، والأشكال المتنوعة من مستعمل العجيب والغريب متناً سردياً حسناً، حول النص من حال المؤلف المفضي للرتابة، والباعث - غالباً - على النفور إلى المزج بين المؤلف وغير المؤلف، الساحب والدافع للقراءة والمتابعة، إذ أسهم هذا الأخير في إخراج الرحلة في حلة جميلة في الشكل والمضمون، ليجد فيها القراء والمتلقون متعة ولذة فيما يقرأون و يسمعون، لتبث فيهم روح القراءة، وتزرع فيهم نشاطاً وحيوية لمحاكاة وقائعها وأحداثها وفضول المؤانسة بمجرياتها وتطوراتها عبر مسار سيرها من منطلق الرحلة وحتى نهايتها، فاصطفت بتلك الميزات والخصوصيات، لأن تكون صناعة أدبية ذات ذوق فني وجمالي راق، مزجت بين جمال الشكل وروعة الوصف وبيان المعنى.

وبناء على ما تقدم؛ مما ذكرنا وخلصنا إليه في هذا المقال المتعلق بتتبع صور العجيب داخل هذه الرحلة، وإظهار بعده الفني والجمالي في النص، توصلنا إلى جملة من النتائج المستتبطة من عمق هذه الدراسة، والآتي رسماً تباعاً في الآتي ذكره:

أ - عن الكاتب:

- تبين من خلال النص أن للكاتب اطلاع ومعرفة مسبقة عن بعض مبادئ أدب الرحلة وخصائصه الفنية، والتي مكنته من حمل بعض الأدوات الإجرائية للصناعة والإبداع فيها.
- تجلّى لنا من خلال النص أن للكاتب ثقافة محترمة، ومستوى معرفي عال، وذلك لتمكنه من لغات ثلاث هي؛ العربية، والفرنسية، والانجليزية؛ مما أكسبه قدرة على الحوار مع مختلف شخصيات الرحلة، وإجادته للغته العربية واضح في سرد رحلته الحسن.
- الكاتب شغوف بعالم الرحلات والأسفار، ومحب للاستطلاع على عالم الآخر، إذ له من خصال الرحالة أهمها: الصبر؛ الذي يمكنه من تحمل عناء الأسفار ومتاعبها، وتحمل الآخر وتقبله بما فيه، وهو الأمر الذي ظهر جليا في رحلته السنغال، خاصة أيام وجوده بين الآخر.
- اتضح لنا أن الكاتب جاد مثابر وشجاع، لا تثنيه الصعاب، ولا تخيفه المخاطر، و ذلك من خلال سفره الطويل لأدغال إفريقيا، ومجازفته في بعض محطاتها، بحثا عن المراد من دراسته الأكاديمية، وهو لا يزال طالبا يافعا في ريعان الشباب.

ب - عن الرحلة:

- الرحلة جاءت في بنائها حسنة السبك، جميلة الوصل والربط، مناسبة الوقائع والأحداث، أوصفها بذلك مما نجح فيها من العجيب والغريب، كما رسمت تسلسلا في أزمنتها وتعاوبا في أمكنتها طوال مسار سردها.
- جاءت بنية الرحلة في ملمحها العام تقليدية الشكل؛ وهو رسم تقليدي يعنى بتجسيد واقعية الأحداث، وتسلسل وترتيب الزمان والمكان، يقول " عبد الرزاق الموافي " عن هذا النمط من الرحلات : " تلك البنية التي تتبع نمطا معتادا قريبا من صورة الرحلة الواقعية، ويكون الزمان والمكان فيها منسقين مرتبين حسب واقع الرحلة، وبذلك تتكون الرحلة من أربعة وحدات هي : المقدمة، رحلة الذهاب، وصف هدف الرحلة، رحلة العودة والخاتمة. " (ناصر عبد الرزاق الموافي، د.ص، صفحة 71).
- إلا أن الملاحظ منا تجاه هذه البنية المجسدة لعمارة هذه الرحلة، أن المساحات السردية اختلفت من محطة لأخرى من حيث الكم السردى، ونحن نراه من وجهتنا أمر يحصل في مثل هكذا رحلات، إذ يراجع بالأساس لخصوصية كل محطة، وما تتطلبه من حشو سردي، إذ يتمدد السرد وينقلص بحسب زمان مكوث الرحالة بالمكان، وما تتيح له الظروف العامة للكتابة عنه، وكذا لطبيعة وسيلة السفر المستعملة (الطائرة)، والتي لا تسمح بإتاحة فرص مثالية في محطتي الذهاب والعودة، لأجل معاينة ومشاهدة المكان بالوقت الكافي للسرد والوصف عنه.
- حضور السرد والوصف في عرض النص بصورة متزنة عبر محطاته المختلفة، إذ نجد منه ما استدعاه الكاتب للإثراء والملحة، وآخر فرض حضوره وانتزع مكانه بقوة، إذ لا يمكن للمشاهد أن يخلو منه، ولو حصل لكان مشهدا مبتورا.

- استطاع الكاتب الإلمام بوقائع وأحداث رحلته بصورة مكتملة لجميع عناصر البناء و التشكل لعمارة الرحلة، سواء ما تعلق بأيام استعداده للسفر، وأيام سفره وبقائه في السنغال، بالإحاطة بأهم محطاتها الهامة التي شكلت أحداثها.
 - استعمل الكاتب لغة سهلة يسيرة، وذلك باستحضاره معجماً لغوياً مألوفاً، وهي ميزة أدركها الكاتب بمعرفته لغاية النص، وأهميته التواصلية والمعرفية.
 - سارت أحداث ووقائع النص على يد شخصيات واقعية، وبحضور الشخصية المركزية المتمثلة في شخص الكاتب، كونها المصدر والباعث الأساس لها.
 - تشكلت حركية أحداث وأفعال الرحلة عبر فضاء بري وجوي و بحري، وهي ميزة طبعت الرحلة، فأثرت مادتها ونوعت أحداثها.
 - حضور الرحلة المعاصرة إبداعاً واستمراراً تواجهها كمنتج أدبي معاصر، يؤكد أصالة وعراقة هذا الفن، بل وتغلغله في عمق تاريخ هذا الأدب العربي الأصيل.
 - الرحلة المعاصرة كما أخواتها في عصور خلت، تحمل بين ثنايا سردها إرث أدبي ومعرفي هام، يفيد العلم والبحث في مختلف العلوم، لاسيما العلوم الإنسانية منها.
 - ومجمل القول؛ تعنى الرحلة المعاصرة كما سابقتها باستحضار العجيب والغريب ضمن نصوصها، وذلك لما له من أثر جلي، يعمل على تحول النص من الطبيعي إلى التخيلي، ولما تلقى تلك الظلال العجائبية من جمالية على السرد، وهو ما وفق فيه الكاتب إلى حد بعيد في كتابة نصه هذا، مما أعطاها حسناً وقبولاً.
- قائمة المراجع:**

1. (s.d.). Récupéré sur <https://www.almaany.com>.

2. إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، محمد علي النجار. (د- س). (المعجم الوسيط. دار الدعوة.
3. صبحي حموي، المنجد الوسيط في العربية المعاص، بيروت، دار المشرق..
4. ابن منظور. (1981). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
5. الاندلسي، أ.س. &، ابن اسماعيل، ع. (1985). المحكم والمحيط الأعظم في اللغة. جامعة الدول العربية.
6. الزكري، ح. (1994). العجيب والغريب: من لغو المعجم الى كفاءة المتكلم. التواصل اللساني. 230.
7. الزمخشري &، عمر، ج. (1323). هـ. (المفصل في علم العربية. بيروت: دار الجيل.
8. الفراهيدي، أ. ا. (1988). معجم كتاب العين تح. مهدي المخزومي. و.إبراهيم السمرائي. . الأكليمي للمطبوعات.
9. تودروف، ن. (1993). مدخل إلى الأدب العجائبي. الرباط: دار الكلام.
10. حرفوش، ر. &، شكور، آ. م. المنجد الكبير في اللغة. دار المشرق.
11. حسين علام. (2010). العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد. الجزائر: منشورات الاختلاف.

12. حسين علام. (2010). العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد. 1 الجزائر: منشورات الاختلاف.
13. صبحي حمودي). د.س. (المنجد في اللغة العربية المعاصرة. بيروت: دار المشرق.
14. لوكزف, ج. (2002). العجيب في الغرب القروسطي. الدار البيضاء: مطبعة النجاح.
15. مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. المكتبة الاسلامية.
16. محمد تنفور. (2010). النص العجائبي. دمشق: دار كيوان.
17. ناصر عبد الرزاق الموافي). د.ص. (الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري .
18. ياسين قلوش). د.س. (رحلة إلى السنغال)مكاشفات وأسرار عن الصوفية في السنغال .(دار المجدد للنشر والتوزيع.